مورفولوجية المظاهر الطبيعية

من منشورات جامعة كاليفورنيا في الجغرافيا 2، 2 (1925): 19-54

كارل ساور

ترجمة بتصرف

أ.د. مضر خليل عمر

مقدمة

لفترة من الوقت ، كان كارل ساور (1889-1975) بمثابة صاعق في "حروب الثقافة" داخل الجغرافيا ، وما يزال اسمه يُستشهد به أحيانًا كونه المثال النموذجي للنوع من جغرافية الثقافة التي رأى العديد من الجغرافيين أنفسهم يتجاوزونها منذ ثمانينيات القرن العشرين . بصفته رئيسًا لقسم الجغرافيا في جامعة كاليفورنيا في بيركلي من عام 1923 إلى عام 1954، عمل ساور - أكثر من أي شخص آخر- على تشكيل المحتوى الفكري لجغرافية الثقافة الأمريكية في النصف الأول من القرن العشرين .

ولكن بحلول ثمانينيات القرن العشرين ، كان إرثه يخضع لإعادة تقييم كبيرة من جانب جيل جديد من جغرافيي الثقافة المتأثرين بالتطورات الأخيرة في الأنثروبولوجيا الأمريكية والدراسات الثقافية البريطانية . على سبيل المثال ، أشار بيتر جاكسون (خرائط المعنى، 1989) إلى "التركيز المفرط من جانب ساور على العناصر المادية للثقافة وتمثيلها في المشهد الطبيعي" ، وأشار دون ميتشل (جغرافية الثقافة : مقدمة نقدية ، 2000) إلى أن نوع جغرافية الثقافة التي أطلقها ساور أصبح "غير ذي صلة" بشكل متزايد بالعوالم الاجتماعية التي يعيش فيها معظم الجغرافيين اليوم : "بينما كانت المدن الأميركية (والبريطانية) تحترق في أعقاب أعمال الشغب العنصرية ، وانهيار الاقتصاد الصناعي ، والأزمة المالية تلو الأخرى ، كان جغرافيو الثقافة الأميركيون راضين عن العبث بجغرافية أعمدة الأسوار والبيوت الخشبية..." .

ولقد بدأ كتاب مدرسي عن منهجية الجغرافيا البشرية بمقارنة نهج ساور في العمل الميداني بنهج الجغرافية النسوية البريطانية ، ليندا ماكدويل ، من أجل تسليط الضوء على الطرق التي بدأ بها الجغرافيون مؤخرًا في استجواب بعض الافتراضات (أو عدم وجودها) التي تقوم عليها مناهجهم في البحث (ينظر بول كلوك وآخرون ، ممارسة الجغرافيا البشرية ، 2004) . وبهذه الطريقة تم استدعاء اسم ساور مرارًا وتكرارًا لتمثيل نوع "تقليدي" من جغرافية الثقافة التي كانت وصفية وغير نظرية في الأساس . ولعل من عجيب المفارقات إذن أن أشهر أعمال كارل ساور - "مورفولوجيا المظاهر الطبيعية" - ليست دراسة إقليمية وصفية على الإطلاق ، بل أطروحة مستدامة ومنهجية حول المنهجية في الجغرافيا . وهي أيضًا واحدة من كتاباته القليلة التي تقدم شيئًا يقترب من تصور صريح للثقافة . كان "علم الأشكال" محاولة من جانب ساور لإدخال رؤى إلى الجغرافيا الأمريكية من مدرسة لاندشافت الألمانية والدراسات الإقليمية لفيدال دي لا بلاش وطلابه في فرنسا .

قدم ساور لمقاله بالإشارة إلى الحاجة إلى إعادة النظر في "الأرض المشتركة" التي يقوم عليها تخصص الجغرافيا . وزعم ساور أن هذه الحاجة تنشأ بسبب التطورات في أوروبا حيث كان فيدال وطلابه في فرنسا ، وهيتنر، وباسارج ، وكريبس في ألمانيا ، "يؤكدون بشكل متزايد على التقليد الكلاسيكي للجغرافيا كعلاقة كورولوجية" . وهذا يعني أن المجال الأوروبي كان يتحرك إلى ما هو أبعد من التركيز الأمريكي - مستوحى من راتزل ولكن إيلين سمبل تمثله - على الأسباب البيئية للأنماط الجغرافية البشرية .

سعى ساور إلى استعادة الجغرافيا الأمريكية ، بعبارة أخرى ، لقد كان ساور من أوائل الذين رأوا أن البيئة هي التي تحدد السلوك البشري . ولم يكن ساور مهتماً بالتعبير عن الآليات الدقيقة التي تعمل بها الثقافة ذاتها ـ فهذه هي مهمة الأنثروبولوجيا في نظره ـ ولكنه قدم أساساً مفاهيمياً وفلسفياً لحجته من خلال تحديد منهجية علم التشكل ـ أي **دراسة التغير البنيوي** . ولم يكن علم التشكل ـ كما تصوره الفيلسوف الألماني جوته في الأصل ـ مهتماً بتفسير الأسباب العامة للتغير ، بل سعى إلى مجرد وصف "بنية الكائنات الحية" المتغيرة . وعلى هذا فإن القياس يمكن أن يكون إذا نظرنا إلى المظاهر الطبيعية كونها نوعاً من الكائنات الحية . وعلى هذا فإن مورفولوجية المظاهر الطبيعية يمكن دراستها بالطريقة نفسها التي اقترحها جوته للكائنات الحية . و تتلخص مهمة الجغرافيا في وصف شكل المظاهر الطبيعية بشكل منهجي من خلال عزل عناصرها المكونة والتغيرات التي شهدتها تلك العناصر.

كانت الثقافة هي العنصر الأكثر أهمية بين هذه العناصر المكونة ، ولكن كما أشرنا سابقًا ، لم يكن ساور مهتمًا بـ"العمل الداخلي" للثقافة ذاتها ، بل كان مهتمًا بنتائج الثقافة ، وبصماتها على المظاهر الطبيعية . وقد تعرض مثل هذا النهج لانتقادات بسبب تجاهله للأفراد والعلاقات فيما بينهم وركز بدلاً من ذلك على المصنوعات المادية التي يصنعونها في المظاهر الطبيعية . ولكن من المهم أيضًا أن ندرك أن عمل ساور، إذا نظرنا إليه ككل ، كان مؤطرًا بقلق عميق حول الطرق التي لم تغير بها التصنيع والتحديث المظاهر الطبيعية فحسب ، بل والأهم من ذلك أنها **غيرت مواقفنا تجاه الأرض وفهمنا لها وعلاقتنا بها** . ربما تجاهل ساور الأفراد كونهم أفرادًا ، لكنه كان يعتقد أن هناك حاجة إلى تقدير المجموعات الثقافية المتميزة وطرقها الفريدة في تشكيل الأرض . ومن المفيد إذن أن نضع عمل ساور في مناخ فكري أكثر عمومية في أوائل القرن العشرين ، حيث كان الاهتمام منصبًّا على التأثير الذي أحدثه التصنيع والتحضر السريعان على الأنواع المحلية من الحياة التي احتفى بها فيدال .

يمكن العثور على المجموعة الأكثر اكتمالاً من كتابات ساور في المجلد المحرر "الأرض والحياة" لجون ليجلي (1963) . وقد نُشرت العديد من الكتب والمقالات التي تبحث في منحة ساور وحياته ، بما في ذلك مقالات بقلم مايكل ويليامز (""قرة عيني" : كارل ساور والجغرافيا التاريخية"" ، مجلة الجغرافيا التاريخية 9، 1، 1983) ومارتن كينزر (""البيئة والمشهد الفكري" : تراث كارل أو. ساور الجامعي"" ، حوليات جمعية الجغرافيين الأمريكيين 75، 2، 1985) . بدأ انتقاد إرث ساور مع نشر كتاب جيمس دنكان "العضوي الفائق في جغرافية الثقافة الأمريكية" (حوليات جمعية الجغرافيين الأمريكيين 79، 2، 1980) ، بينما دافعت ماري برايس ومارتن لويس عن إرث ساور في كتابهما "إعادة اختراع جغرافية الثقافة" ، حوليات جمعية الجغرافيين الأمريكيين 83، 1، 1993).

ملخص هدف الجغرافيا

تتلخص مهمة الجغرافيا في إنشاء نظام نقدي يضم ظاهراتية المظاهر الطبيعية ، وذلك من أجل استيعاب كل معانيها وتلوين المشهد الأرضي المتنوع . وقد عبر فيدال دي لا بلاش عن هذا الموقف بشكل غير مباشر من خلال التحذير من عد "الأرض" المشهد الذي تتكشف فيه أنشطة الإنسان ، "دون التفكير في أن هذا المشهد هو نفسه حي" [فيدال ، مبادئ الجغرافيا البشرية، 1922] ، وهو يشمل أعمال الإنسان كتعبير متكامل عن المشهد . وهذا الموقف مستمد من هيرودوت وليس من طاليس . والجغرافيا الحديثة هي التعبير الحديث عن أقدم جغرافيا .

إن الأشياء التي توجد معًا في المشهد توجد في علاقة متبادلة . ونحن نؤكد أنها تشكل واقعًا ككل لا يتم التعبير عنه من خلال النظر إلى الأجزاء المكونة على حدة ، يجعل من المنطقة ذات شكل وبنية ووظيفة

، ومن ثم موضع في نظام ، وأنها تخضع للتطور والتغيير والاكتمال . وبدون هذه النظرة إلى الواقع المساحية والعلاقة ، لن توجد سوى تخصصات خاصة ، وليس الجغرافيا كما يُفهَم عمومًا . والوضع مماثل لموقف التاريخ ، الذي قد ينقسم بين الاقتصادات ، والحكومة ، وعلم الاجتماع ، وما إلى ذلك ؛ ولكن عندما يتم ذلك ، فإن النتيجة ليست تاريخًا .

محتوى المظاهر الطبيعية

تعريف المظاهر الطبيعية ،

يُقترح مصطلح "المظاهر الطبيعية" للإشارة إلى مفهوم الوحدة في الجغرافيا ، لتوصيف **الارتباط الجغرافي الغريب للحقائق** . المصطلحات المكافئة بمعنى ما هي "المنطقة" و"الإقليم" . المنطقة بالطبع مصطلح عام ، وليس جغرافيًا مميزًا . وقد أصبحت المنطقة تعني ، بالنسبة لبعض الجغرافيين على الأقل ، مرتبة من حيث الحجم . إن مصطلح "المظاهر الطبيعية" هو المعادل الإنجليزي للمصطلح الذي يستخدمه الجغرافيون الألمان على نطاق واسع ، وله المعنى نفسه تمامًا : شكل الأرض ، حيث لا يُنظر إلى عملية التشكيل على أنها مجرد شكل مادي . وبالتالي ، يمكن تعريفها على **أنها منطقة تتكون من مجموعة مميزة من الأشكال ، سواء كانت مادية أو ثقافية.**

إن حقائق الجغرافيا هي حقائق مكانية ؛ ويؤدي ارتباطها إلى ظهور مفهوم المظاهر الطبيعية . وبالمثل ، فإن حقائق التاريخ هي حقائق زمنية ؛ ويؤدي ارتباطها إلى ظهور مفهوم الفترة . وبحكم التعريف ، فإن المظاهر الطبيعية لها هوية تستند إلى تكوين يمكن التعرف عليه وحدود وعلاقة عامة بالمظاهر الطبيعية الأخرى ، والتي تشكل نظامًا عامًا . ويتم تحديد بنيتها ووظيفتها من خلال أشكال متكاملة تابعة . وبالتالي ، يُنظر إلى المظاهر الطبيعية بمعنى ما على أنها تتمتع بجودة عضوية . قد نتبع بلونتشلي في القول **بأن المرء لا يفهم طبيعة منطقة ما بشكل كامل حتى "يتعلم أن ينظر إليها كوحدة عضوية ، وأن يفهم الأرض والحياة من حيث كل منهما الأخرى ."**

لقد بدا من المرغوب فيه تقديم هذه النقطة قبل شرحها لأنها مختلفة تمامًا عن مفهوم الوحدة للعملية الفيزيائية لدى عالم الجغرافيا الطبيعية أو مفهوم التأثير البيئي لدى عالم الجغرافيا البشرية من مدرسة راتزل . إن آليات التآكل الجليدي ، والارتباط المناخي للطاقة ، ومحتوى الشكل لموائل المنطقة ثلاثة أشياء مختلفة. إن المظاهر الطبيعية لها معنى عام ، بالمعنى المستخدم هنا ، فإن المظاهر الطبيعية ليست مجرد مشهد فعلي يشاهده المراقب . **إن المظاهر الطبيعية الجغرافية هي تعميم مشتق من ملاحظة المشاهد الفردية** . وبالتالي فإن ملاحظة كروس بأن "الجغرافي الذي يصف المظاهر الطبيعية لديه مهمة رسام المظاهر الطبيعية" نفسها ، لها صلاحية محدودة فقط . قد يصف الجغرافي المظاهر الطبيعية الفردية كنوع أو ربما كنوع مختلف من النوع ، لكنه دائمًا ما يضع في الحسبان النوع العام ، ويمضي قدمًا بالمقارنة .

إن العرض المنظم للمظاهر الطبيعية للأرض هو مهمة هائلة . بدءًا من التنوع اللانهائي ، يتم اختيار السمات البارزة والمرتبطة من أجل تحديد شخصية المظاهر الطبيعية ووضعها في نظام . ومع ذلك ، فإن الجودة العامة غير موجودة بمعنى العالم البيولوجي . كل منظر طبيعي له فردية بالإضافة إلى علاقته بالمظاهر الطبيعية الأخرى ، وينطبق الشيء نفسه على الأشكال التي يتكون منها . **"لا يوجد وادٍ يشبه أي وادٍ آخر؛ ولا توجد مدينة هي النسخة الدقيقة لمدينة أخرى** . وبقدر ما تظل هذه الصفات غير مرتبطة تمامًا ، فإنها تكون خارج نطاق المعالجة المنهجية ، وخارج تلك المعرفة المنظمة التي نسميها علمًا . "لا يمكن لأي علم أن يستقر على مستوى الإدراك المجرد ... لا تظل العلوم الطبيعية الوصفية ، مثل علم الحيوان وعلم النبات

، راضية بالنظر إلى المفرد ، بل إنها ترتفع إلى مفاهيم النوع والجنس والعائلة والرتبة والطبقة والنوع . لا يوجد علم شخصي ، أي علم يصف الفرد على هذا النحو فحسب . كانت الجغرافيا في السابق شخصية ؛ وقد حاولت منذ فترة طويلة أن تصبح قانونًا ، ولن يبقيها أي جغرافي على مستواها السابق" . "مهما كان الرأي الذي قد يتبناه المرء بشأن القانون الطبيعي ، أو العلاقة القانونية أو العامة أو السببية ، فإن تعريف المظاهر الطبيعية على أنها مفردة أو غير منظمة أو غير ذات صلة ليس له قيمة علمية .

عنصر الحكم الشخصي في اختيار المحتوى ،

صحيح أنه في اختيار الخصائص العامة للمظاهر الطبيعية ، يسترشد الجغرافي فقط بحكمه الخاص على أنها خصائص ، أي متكررة ؛ وأنها مرتبة في نمط ، أو تتمتع بجودة هيكلية ، وأن المظاهر الطبيعية تنتمي بدقة إلى مجموعة محددة في السلسلة العامة للمظاهر الطبيعية . يعترض كروتشي على علم التاريخ على أساس أن التاريخ خالٍ من المعايير المنطقية : "المعيار هو "إن الاختيار نفسه ، مشروط ، مثل أي فن اقتصادي ، بمعرفة الموقف الفعلي . إن هذا الاختيار يتم بالتأكيد بذكاء ، ولكن ليس بتطبيق معيار فلسفي ، ولا يبرر إلا في حد ذاته . ولهذا السبب نتحدث عن اللباقة الدقيقة ، أو الرائحة ، أو الغريزة لدى الرجل المتعلم" .

يُطرح اعتراض مماثل أحيانًا ضد الكفاءة العلمية للجغرافيا ، لأنها غير قادرة على إقامة سيطرة كاملة وصارمة ومنطقية وتعتمد بالضرورة على خيار الطالب . إن الجغرافي يمارس في الواقع حرية الاختيار باستمرار فيما يتعلق بالمواد التي يدرجها في ملاحظاته ، ولكنه يستخلص أيضًا استنتاجات مستمرة فيما يتعلق بالعلاقة بينهما . إن طريقته ، مهما كانت غير كاملة ، تستند إلى الاستقراء ؛ فهو يتعامل مع المتتاليات ، على الرغم من أنه قد لا يعدها علاقة سببية بسيطة . إذا نظرنا إلى نوع معين من المظاهر الطبيعية ، على سبيل المثال ، شجيرات الخلنج في شمال أوروبا ، فقد نسجل ملاحظات مثل : السماء باهتة ، وعادة ما تكون غائمة جزئيًا ، والأفق غير واضح ونادرًا ما يكون على مسافة تزيد عن نصف دزينة من الأميال ، على الرغم من رؤيته من ارتفاع . تتدحرج المرتفعات برفق وبشكل غير منتظم وتنحدر إلى أحواض واسعة ومسطحة . لا توجد منحدرات طويلة ولا أنماط متماثلة لشكل السطح . المجاري المائية قصيرة ، بمياه بنية صافية ودائمة . تنتهي الجداول بمستنقعات غير منتظمة ، ذات حدود غير واضحة.

تشكل الأعشاب الخشنة والبردي شرائط هامشية على طول المسطحات المائية . المرتفعات مغطاة بالخلنج والطحالب والسرخس . تكثر كتل العرعر ، وخاصة على المنحدرات الأكثر انحدارًا وجفافًا . تمتد آثار العربات على طول التلال الأطول ، فتكشف عن رمال فضفاضة في مسارات العجلات ، وهنا وهناك تظهر قاعدة صدئة من الأسمنت تحت الرمال . وتنتشر قطعان صغيرة من الأغنام على نطاق واسع في جميع أنحاء الأرض . ومن الجدير بالملاحظة غياب أعمال الإنسان بشكل شبه كامل . فلا توجد حقول أو مساحات أخرى مسيجة . والمباني الوحيدة عبارة عن حظائر للأغنام ، تقع عادةً على مسافة عدة أميال من بعضها البعض ، عند تقاطعات ملائمة لآثار العربات .

ولا يتعلق الأمر بمشهد فردي ، بل هو تلخيص للخصائص العامة . ويتم تقديم إشارات إلى أنواع أخرى من المظاهر الطبيعية ضمناً . كما يتم تقديم علاقات عناصر الشكل داخل كما تم ملاحظة المظاهر الطبيعية . تستند العناصر المختارة إلى "معرفة الوضع الفعلي" ، وهناك محاولة لتركيب عناصر الشكل . إن أهميتها هي مسألة حكم شخصي . قد تحل المعايير الموضوعية محلها جزئيًا فقط ، كما هو الحال في التمثيل الكمي في شكل خريطة . حتى بهذه الطريقة ، لا يتم وضع العنصر الشخصي إلا تحت سيطرة محدودة ، لأنه ما يزال يعمل في اختيار الصفات التي سيتم تمثيلها . كل ما يمكن توقعه هو تقليص العنصر الشخصي بالاتفاق على "طريقة محددة مسبقًا للاستقصاء" ، والتي يجب أن تكون منطقية .

اتساع السمات المساحية ،

محتوى المظاهر الطبيعية هو شيء أقل من مجموع مكوناتها المرئية . إن هوية المظاهر الطبيعية تحدد في المقام الأول من خلال وضوح الشكل ، كما هو مضمن في البيان الاتي [بواسطةPassarge 1919]،" : إن التمثيل الصحيح لشكل السطح ، والتربة ، والكتل البارزة على السطح من الصخور، والغطاء النباتي والمسطحات المائية ، والسواحل والبحر، والحياة الحيوانية البارزة على السطح ، والتعبير عن الثقافة البشرية هو هدف الاستقصاء الجغرافي " . تم اختيار العناصر المحددة لأن تجربة المؤلف أظهرت أهميتها فيما يتعلق بالكتلة والعلاقة . إن الموقف الكوريولوجي يعترف بالضرورة بأهمية الامتداد الجغرافي للظواهر، حيث أن هذه الجودة متأصلة في الموقف : وهنا يكمن تباين مهم بين الجغرافيا والجغرافيا الطبيعية . إن طبيعة المظاهر الطبيعية الخلنجية الموصوفة أعلاه يتم تحديدها في المقام الأول من خلال هيمنة الرمال والمستنقعات والخلنج . إن أهم حقيقة جغرافية عن النرويج ، إلى جانب موقعها ، ربما تكون أن أربعة أخماس سطحها عبارة عن مرتفعات قاحلة ، لا تدعم الغابات ولا قطعان الماشية ، وهي حالة مهمة بشكل مباشر بسبب اتساعها

قيمة الموائل كأساس لتحديد المحتوى ،

الحكم الشخصي على محتوى المظاهر الطبيعية يتحدد أيضًا من خلال الاهتمام . الجغرافيا هي أنثروبوسينتريك بوضوح ، بمعنى **قيمة أو استخدام الأرض للإنسان** . نحن مهتمون بذلك الجزء من المشهد الجغرافي الذي يهمنا كبشر لأننا جزء منه ، ونعيش معه ، ونحد منه ، ونعدله . وبالتالي فإننا نختار تلك الصفات في المظاهر الطبيعية على وجه الخصوص التي قد تكون مفيدة لنا . نتخلى عن تلك الميزات "**إن الجغرافيا البشرية لا تعارض الجغرافيا التي يستبعد منها العنصر البشري ؛ فلم توجد مثل هذه الجغرافيا إلا في أذهان قِلة من المتخصصين الحصريين**" [فيدال، 1922]. إن النظر إلى المظاهر الطبيعية وكأنها خالية من الحياة هو تجريد قسري ، من قِبَل كل تقاليد الجغرافيا الجيدة . ولأننا مهتمون في المقام الأول بـ "الثقافات التي تنمو بقوة أصلية من حضن المظاهر الطبيعية الأمومية ، والتي يرتبط بها كل منها طوال مسار وجودها" [شبنجلر، 1920] ، **فإن الجغرافيا تستند إلى حقيقة اتحاد العناصر المادية والثقافية للمظاهر الطبيعية** . إن محتوى المظاهر الطبيعية يكمن إذن في الصفات المادية للمنطقة التي تهم الإنسان وفي أشكال استخدامه للمنطقة ، وفي حقائق الخلفية المادية وحقائق الثقافة البشرية . ويقدم كريبس مناقشة قيمة لهذا المبدأ تحت عنوان "الطبيعة والثقافة" .

بالنسبة **للنصف الأول** من محتوى المظاهر الطبيعية ، يمكننا استخدام تسمية **"الموقع"** ، والتي أصبحت راسخة في علم البيئة النباتية . إن موقع الغابة ليس ببساطة المكان الذي توجد فيه غابة ؛ ففي دلالته الكاملة ، فإن الاسم هو تعبير نوعي عن المكان من حيث نمو الغابة ، وعادة ما يكون ذلك بالنسبة لجمعية الغابة المعينة التي تشغل الموقع . وبهذا المعنى ، فإن المساحة المادية هي مجموع كل الموارد الطبيعية التي يملكها الإنسان في المنطقة . وليس من سلطته أن يضيف إليها ؛ فقد "يطورها" أو يتجاهلها جزئيًا أو يقلل منها عن طريق الاستغلال .

إن **النصف الثاني** من المظاهر الطبيعية الذي يُنظَر إليه كونه وحدة ثنائية هو تعبيره الثقافي . وهناك طريقة جغرافية بحتة للتفكير في **الثقافة** ؛ أي كونها **بصمة أعمال الإنسان على المنطقة** . وقد نفكر في الناس كونهم مرتبطين بمنطقة ما أو بها ، أو قد نفكر فيهم كونهم مجموعات مرتبطة بالسلالة أو التقاليد ، وفي الحالة الأولى نفكر في الثقافة كونها تعبيرًا جغرافيًا ، يتألف من أشكال تشكل جزءًا من الظواهر الجغرافية . وفي هذا الرأي لا مكان لثنائية المظاهر الطبيعية .

أشكال المظاهر الطبيعية وبنيتها

التقسيم بين المظاهر الطبيعية والثقافية ،

لا يمكننا تكوين فكرة عن المظاهر الطبيعية إلا من حيث علاقاتها الزمنية وكذلك علاقاتها المكانية ، إنها في عملية مستمرة من التطور أو التحلل والاستبدال . وبهذا المعنى فإن التقدير الحقيقي للقيم التاريخية هو الذي دفع علماء مورفولوجيا الأرض إلى ربط المظاهر الطبيعية المادية الحالية بأصولها الجيولوجية ، واستنباطها منها خطوة بخطوة . ومع ذلك ، بالمعنى الكورولوجي ، فإن تعديل المنطقة من قبل الإنسان وتخصيصها لاستخداماته له أهمية كبيرة . تمثل المنطقة قبل إدخال نشاط الإنسان مجموعة واحدة من الحقائق المورفولوجية ، والأشكال التي أدخلها الإنسان هي مجموعة أخرى . يمكننا أن نسمي الأولى ، فيما يتعلق بالإنسان ، المظاهر الطبيعية الأصلية . **إن الجغرافيا لم تعد موجودة في كليتها في العديد من أجزاء العالم ، ولكن إعادة بنائها وفهمها يشكلان الجزء الأول من علم التشكل الشكلي** . فهل من التعميم الواسع أن نقول إن الجغرافيا تنفصل عن الجيولوجيا عند نقطة دخول الإنسان إلى المنطقة ! ؟ وفقًا لهذا الرأي ، تنتمي الأحداث السابقة إلى مجال الجيولوجيا بشكل صارم ، ولا يعد التعامل التاريخي معها في الجغرافيا سوى أداة وصفية تُستخدم عند الضرورة لتوضيح العلاقة بين الأشكال المادية المهمة في الموطن .

إن أعمال الإنسان تعبر عن نفسها في المشهد الثقافي . وقد يكون هناك تتابع لهذه المظاهر الطبيعية مع تتابع للثقافات . وهي مستمدة في كل حالة من المظاهر الطبيعية ، حيث يعبر الإنسان عن مكانه في الطبيعة كعامل مميز للتعديل . ومن الأهمية بمكان أن نذكر **ذروة الثقافة التي نسميها الحضارة** . إن المشهد الثقافي إذن يخضع للتغيير إما بتطور ثقافة ما أو باستبدال ثقافات أخرى . إن خط البيانات الذي يقاس منه التغيير هو الحالة الطبيعية للمشهد . إن تقسيم الأشكال إلى طبيعية وثقافية هو الأساس الضروري لتحديد الأهمية المكانية وطبيعة نشاط الإنسان . بالمعنى العالمي ، ولكن ليس بالضرورة بالمعنى الكوني ، تصبح **الجغرافيا** ذلك الجزء من أحدث فصل بشري في تاريخ الأرض والذي يهتم بتمييز المشهد المكاني من قبل الإنسان .

المظاهر الطبيعية : الأساس الجغرافي ،

في الأقسام التي تلي عن المظاهر الطبيعية ، يُستدل على التمييز بين البحث التاريخي في أصل السمات وتنظيمها الصرفي في مجموعة من الأشكال ، الأساسية للتعبير الثقافي عن المنطقة . نحن نهتم فقط بالأخير من حيث المبدأ ، بالأول فقط كراحة وصفية . تتضمن أشكال المظاهر الطبيعية في المقام الأول مواد قشرة الأرض التي حددت إلى حد كبير أشكال السطح . يستعير الجغرافي من الجيولوجي معرفة الاختلافات الجوهرية للغلاف الصخري الخارجي فيما يتعلق بالتركيب والبنية والكتلة . نظرًا لأن الجيولوجيا تدرس تاريخ هذه المواد ، فقد ابتكرت تصنيفها على أساس تعاقب التكوينات ، المجمعة حسب الفترة . لا يهتم الجغرافي بالتكوينات في حد ذاتها . ومع ذلك ، فهو مهتم بتلك المرحلة الأكثر بدائية من الجيولوجيا ، والتي تسمى علم الجيولوجيا ، والتي تتعلق بنوع وموقع المواد ولكن ليس بالخلافة التاريخية . قد يكون اسم التكوين الجيولوجي بلا معنى جغرافيًا ، إذا كان يجمع بين الاختلافات الصخرية والاختلافات البنيوية والاختلافات في الكتلة تحت مصطلح واحد .

توفر الحالة الجيولوجية أساسًا لتحويل البيانات الجيولوجية إلى قيم جغرافية . يهتم الجغرافي بمعرفة ما إذا كانت قاعدة المظاهر الطبيعية هي الحجر الجيري أو الحجر الرملي ، وما إذا كانت الصخور ضخمة أو متداخلة ، وما إذا كانت مكسورة بالمفاصل أو متأثرة بظروف بنيوية أخرى معبر عنها في السطح . قد تكون هذه الأمور مهمة لفهم التضاريس والتربة والصرف وتوزيع المعادن . إن تطبيق البيانات الجيولوجية في الدراسات الجغرافية أمر معتاد بمعنى ما ، حيث تكون الدراسات المساحية غير ممكنة بدون بعض الاعتبار

للمواد الأساسية . ولكن من أجل التوصل إلى التحليل الأكثر ملاءمة للتعبير عن المواد الأساسية في السطح ، ربما يكون من الضروري العودة إلى أعمال الجيولوجيين الأميركيين والبريطانيين الأكبر سناً ، مثل باول ، ودوتون ، وجيلبرت ، وشالير ، وأرشيبالد جيكي . وبطبيعة الحال ، فإن الأدبيات الجيولوجية التي تتناول مثل هذه الأمور هائلة في المجمل ، ولكنها تتألف من عناصر عرضية وغير رسمية إلى حد ما ، لأن المظاهر الطبيعية ليست في المجال المركزي لاهتمام الجيولوجي .

لم يتم التوصل إلى التحليل الرسمي للصفات الجيولوجية الحاسمة وتوليفها في تعميمات جغرافية ، لقد حظيت هذه المسألة بقدر كبير من الاهتمام . ولكن البيانات القابلة للمقارنة بشكل كافٍ ما تزال غير كافية من وجهة نظر الجغرافيا . وفي شكل مختصر، حاول سابر مؤخرًا تقديم دراسة عامة للعلاقة بين الأشكال الجيولوجية والمظاهر الطبيعية في المناخات المتغيرة ، وبالتالي إلقاء الضوء على موضوع الجغرافيا الإقليمية بالكامل . نظرًا لدقته في دراسة الصخور، لم يفشل Passarge في فحص المحمل الجغرافي لطبيعة الصخور وحالتها ، وقد طبق في دراسة مكثفة للمنطقة الملاحظات الاتية (مع تعديل إلى حد ما): المقاومة الفيزيائية ، التكوينات اللينة التي تتآكل بسهولة ، الصخور متوسطة المقاومة ، مكسورة كثيرًا(zerklüftet) ، مكسورة إلى حد ما ، مكسورة قليلاً ، الصخور عالية المقاومة ، كما هو مذكور أعلاه المقاومة الكيميائية والذوبان ، قابلة للذوبان بسهولة ، نفاذة للغاية ، نفاذة إلى حد ما ، غير منفذة نسبيًا معرضة بشكل معتدل للحل والتغيير الكيميائي ، كما هو مذكور أعلاه ، مقاومة .

في دراسة لاحقة أضاف توفيرًا للصخور المعرضة بشكل ملحوظ للزحف .(Fluktionsfähig) لم يتم أبدًا تفسير الظروف الجيولوجية من حيث تكافؤ المقاومة لهذا البلد . ربما يكون ذلك ممكنًا فقط في حدود الظروف المناخية المتشابهة عمومًا . لدينا تصنيفات عديدة لما يسمى بالمناطق الفسيوغرافية ، والتي تم تعريفها بشكل سيئ فيما يتعلق بمعاييرها ، ولكن ليس لدينا تصنيف جيولوجي حقيقي للمنطقة ، والذي ، جنبًا إلى جنب مع تمثيل التضاريس والمناطق المناخية ، قادر بمفرده على توفير الخريطة الأساسية لجميع أشكال التشكل الجغرافي .

المظاهر الطبيعية : الأساس المناخي

الرابط الثاني والأكبر الذي يربط أشكال المظاهر الطبيعية في نظام ما : هو المناخ . يمكننا أن نقول بثقة **أن التشابه أو التباين بين المظاهر الطبيعية في العموم هو في المقام الأول مسألة مناخية** . يمكننا أن نذهب إلى أبعد من ذلك ونؤكد أنه في ظل مناخ معين ، فإن المظاهر الطبيعية المميزة ، إن التغيرات المناخية سوف تتطور مع مرور الوقت ، وسوف يلغي المناخ في نهاية المطاف العامل الجغرافي في كثير من الحالات . لقد تجاهلت الجغرافيا الطبيعية ، وخاصة في النصوص ، هذه الحقيقة إلى حد كبير أو أخضعتها إلى حد لا يمكن قراءته إلا بين السطور .

إن الفشل في عد المجموع المناخي للعمليات الجغرافية الطبيعية مختلفًا بشكل كبير من منطقة إلى أخرى قد يكون راجعًا إلى عدم كفاية الخبرة في المناطق المناخية المختلفة وإلى الميل إلى النهج الاستنتاجي . لقد أجريت معظم دراسات جغرافية الطبيعة في خطوط العرض المتوسطة ذات الأمطار الوفيرة ، وكان هناك ميل إلى التفكير في الوكالات من حيث البيئة المناخية الموحدة . إن تقدير مجموعة واحدة من الظواهر ، مثل أشكال الصرف ، من المرجح أن يكون تقليديًا للغاية من خلال تطبيق مخطط العملية الفسيوغرافية القياسية ونتائجها على نيو إنجلاند ودول الخليج ، والسواحل الأطلسية والهادئة ، ناهيك عن الصحاري والمناطق الاستوائية والهوامش القطبية .

ولكن إذا بدأنا من التنوع الجغرافي للمناخ ، فإننا نأخذ في الحسبان على الفور الاختلافات في اختراق الحرارة والبرودة يوميًا وموسميًا ، والتعبير الجغرافي المتغير عن هطول الأمطار من حيث الكمية والشكل والشدة والتوزيع الموسمي ، والرياح كعامل يختلف باختلاف المنطقة ، وفوق كل ذلك الاحتمالات العديدة لتركيبة درجة الحرارة وهطول الأمطار والطقس الجاف والرياح . باختصار، نضع التركيز الرئيسي على مجموع الظروف الجوية في تشكيل التربة والصرف والسمات السطحية . إن تحديد تركيبة أشكال المظاهر الطبيعية من حيث المنطقة المناخية الفردية هو أمر أكثر أهمية من الناحية الجغرافية من متابعة آليات عملية واحدة ، نادرًا ما تعبر عن نفسها بشكل فردي في شكل أرضي كبير.

لقد أصبح الانسجام بين المناخ والمظاهر الطبيعية ، الذي لم يتم تطويره بشكل كافٍ من قبل مدارس الجغرافيا الطبيعية ، حجر الأساس لعلم التشكل الجغرافي بالمعنى المادي . في هذا البلد ، يجب البحث عن ظهور هذا المفهوم إلى حد كبير في الدراسات التي أجريت في الغرب القاحل وشبه القاحل ، رغم أنها لم تسفر على الفور عن إدراك الوجود الضمني لمجموعة مميزة من أشكال الأرض لكل مناخ . في فئة الشكل المورفولوجي للتربة ، تم اكتشاف العامل المناخي بالكامل أولاً على أيدي الطلاب الروس ، واستخدموه كأساس أولي لتصنيف التربة بطريقة أكثر شمولاً . إن ما تم تطبيقه على الأشكال الطبوغرافية كان مختلفًا تمامًا .

وتحت إشراف ماربوت ، أصبح النظام المناخي أساسًا لعمل مكتب التربة في الولايات المتحدة . وبالتالي ، تم إعداد الأرض للتوليف العام للمظاهر الطبيعية الفيزيائية من حيث المناطق المناخية . ومؤخرًا ، قام باسارج ، باستخدام تصنيف كوبن للمناخ ، بتبني منهجية شاملة على هذا الأساس . إن العلاقة بين المناخ والمظاهر الطبيعية تتجلى جزئيًا من خلال الغطاء النباتي ، الذي يوقف أو يحول القوى المناخية . لذلك ، نحتاج إلى التعرف ليس فقط على وجود أو غياب غطاء نباتي ، ولكن أيضًا على نوع الغطاء الذي يتوسط بين القوى الخارجية للمناخ ومواد الأرض والذي يؤثر على المواد الموجودة تحته .

تمثيل بياني لشكل المظاهر الطبيعية ،

يمكننا الآن أن نحاول رسم مخطط لطبيعة الشكل الفيزيائي للتعبير عن العلاقة بين المظاهر الطبيعية والأشكال المكونة والزمن والعوامل السببية المتصلة [الشكل 1]. الشيء الذي يجب معرفته هو المظاهر الطبيعية . تصبح معروفة من خلال مجموع أشكالها . لا يتم التفكير في هذه الأشكال من أجل ذاتها ، كما قد ينظر أخصائي التربة إلى التربة ، على سبيل المثال ، ولكن في علاقتها ببعضها البعض وفي مكانها في المظاهر الطبيعية ، حيث يكون كل مظهر طبيعي مزيجًا محددًا من قيم الشكل . خلف الأشكال يكمن الزمن والسبب . الروابط الوراثية الأساسية هي المناخية والجغرافية ، حيث تكون الأولى مهيمنة بشكل عام ، وتعمل بشكل مباشر وكذلك من خلال الغطاء النباتي .

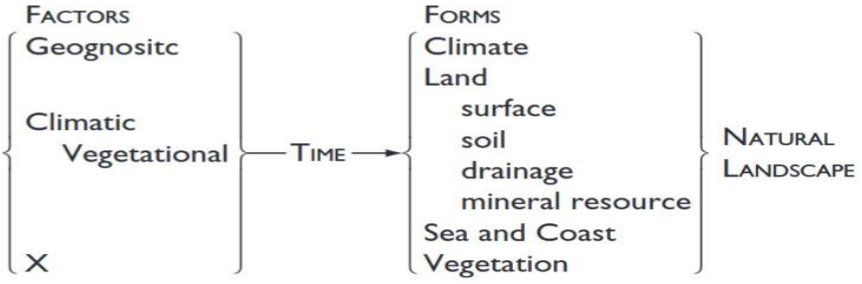

Figure 1

عامل "X" هو " و " البراجماتي ، "البقايا غير المتساوية دائمًا . هذه العوامل مبررة كأداة لربط الأشكال ، وليس كغاية من الاستقصاء . إنها تؤدي إلى مفهوم المظاهر الطبيعية الذي يؤدي بدوره إلى المظاهر الطبيعية الثقافية . يتم تحديد طبيعة المظاهر الطبيعية أيضًا من خلال موقعها على الخط الزمني . وسواء كان هذا الخط ذا طول محدد أو غير محدد ، فهذا لا يهمنا كجغرافيين . ومن المؤكد أن فكرة المشهد الأقصى مفيدة إلى حد ما ، وهو المشهد الذي استنفد ، في ظل ثبات العوامل المؤثرة ، إمكانيات التطور الذاتي . ومن خلال وسيط الزمن ، يكون تطبيق العامل على الشكل كعلاقة سبب ونتيجة محدودًا ؛ فالزمن نفسه عامل عظيم . ونحن مهتمون بالوظيفة ، وليس بتحديد الوحدة الكونية . ولأغراض كورولوجية ، فإن التأكيد في الرسم البياني يقع على يمينه ؛ فالزمن والعامل لهما دور تفسيري وصفي فقط .

إن هذا الموقف فيما يتعلق بالمظاهر الطبيعية يتضمن إعادة تأكيد لمكانة الجغرافيا الطبيعية ، ليس بالتأكيد كونها فيزيوغرافيا أو مورفولوجية الأرض كما يتم تعريفها عادة ، ولكن كونها مورفولوجية طبيعية ، والتي تستخلص بحرية من الجيولوجيا والميزوجرافيا نتائج معينة يمكن دمجها في رؤية للمظاهر الطبيعية كونها مجمعًا للموائل . هذه الجغرافيا الطبيعية هي المقدمة المناسبة للاستقصاء الكورولوجي الكامل الذي هو هدفنا .

تمديد علم المورفولوجي إلى المظاهر الطبيعية الثقافية ،

تخضع المظاهر الطبيعية للتحول على أيدي الإنسان ، وهو آخر وأهم عامل مورفولوجي بالنسبة لنا . فهو يستخدم من خلال ثقافاته الأشكال الطبيعية ، ويغيرها في كثير من الحالات ، ويدمرها في بعض الحالات . إن دراسة المظاهر الطبيعية الثقافية ، حتى الآن ، ما تزال إلى حد كبير مجالًا غير مستغل . إن النتائج الحديثة في مجال علم البيئة النباتية من المحتمل أن تزود الجغرافي البشري بالعديد من الأدلة المفيدة ، وذلك **لأن علم مورفولوجيا الثقافة يمكن أن يُطلق عليه علم البيئة البشرية** . وعلى النقيض من موقف باروز في هذا الموضوع ، فإن الأطروحة الحالية ستستبعد علم البيئة الفسيولوجي أو علم البيئة الذاتية وتبحث عن أوجه الشبه في علم البيئة المتزامن .

من الأفضل عدم إدخال الكثير من المصطلحات البيولوجية في الجغرافيا . إن اسم علم البيئة ليس ضروريًا : فهو علم مورفولوجيا وفسيولوجيا الارتباط الحيوي . ولأننا نتنازل عن المطالبة بقياس التأثيرات البيئية ، فقد نستخدم ، بدلاً من علم البيئة ، مصطلح مورفولوجيا لتطبيقه على الدراسة الثقافية ، لأنه يصف الطريقة تمامًا . ومن بين الجغرافيين في أمريكا الذين اهتموا بالبحث المنهجي في الأشكال الثقافية ، كان مارك جيفرسون ، وأو. إي. بيكر ، وم. أوروسو رائدين بارزين .

إن "الحقائق الأساسية للجغرافية" التي وضعها برونز تمثل ربما التصنيف الأكثر تقديراً على نطاق واسع للأشكال الثقافية . وكان أطلس سكان السويد الذي وضعه ستين دي جير أول مساهمة كبرى من قِبَل طالب ركز اهتمامه بشكل صارم على مورفولوجيا الثقافة . كما قدم فوغان كورنيش مفاهيم "المسيرة" و"المخزن" و"مفترق الطرق" في مساهمة قيمة للغاية في حل المشاكل الحضرية . ومؤخراً ، قام والتر جايسلر بتوليف الأشكال الحضرية في ألمانيا ، تحت عنوان فرعي مستحق ، "مساهمة في مورفولوجيا المشهد الثقافي" . وقد وجد هؤلاء الرواد أرضاً خصبة ؛ وتشير أدبياتنا الدورية إلى أن موجة من المستوطنين ربما تكون في طريقها قريباً .

تمثيل بياني لمورفولوجية المشهد الثقافي ،

المشهد الثقافي هو المنطقة الجغرافية بالمعنى النهائي (المهمة) . وأشكاله هي كل أعمال الإنسان التي تميز المشهد . وبموجب هذا التعريف ، لا نهتم في الجغرافيا بطاقة الإنسان أو عاداته أو معتقداته ، بل بسجله

في المشهد الطبيعي . وأشكال السكان هي ظواهر الكتلة أو الكثافة بشكل عام والنزوح المتكرر، مثل الهجرة الموسمية . ويشمل الإسكان أنواع الهياكل التي يبنيها الإنسان وتجمعاتها ، إما متناثرة كما هو الحال في العديد من المناطق الريفية ، أو متكتلة في قرى أو مدن في خطط مختلفة .(Städtebild) وأشكال الإنتاج هي أنواع استخدام الأراضي للمنتجات الأولية والمزارع والغابات والمناجم والمناطق السلبية التي تجاهلها. [الشكل 2]

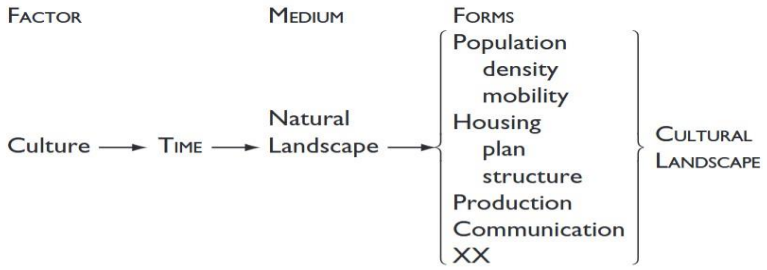

Figure 2

يتكون المشهد الثقافي من مشهد طبيعي بواسطة مجموعة ثقافية . **والثقافة هي الوكيل ، والمنطقة الطبيعية هي الوسيلة ، والمشهد الثقافي هو النتيجة** . وتحت تأثير ثقافة معينة ، تتغير هي نفسها بمرور الوقت ، إن المشهد الطبيعي يمر بمراحل عديدة من التطور، وربما يصل في النهاية إلى نهاية دورة تطوره . ومع ظهور ثقافة مختلفة ـ أي ثقافة غريبة ـ يبدأ تجديد المشهد الثقافي ، أو يفرض مشهد طبيعي جديد على بقايا مشهد قديم . ولا شك أن المشهد الطبيعي يشكل أهمية أساسية ، لأنه يوفر المواد التي يتشكل منها المشهد الثقافي . **ولكن القوة التي تشكله تكمن في الثقافة نفسها** . ففي حدود المعدات المادية الواسعة للمنطقة تكمن العديد من الخيارات الممكنة للإنسان ، كما لم يتعب فيدال قط من الإشارة إلى ذلك . وهذا هو معنى التكيف ، الذي من خلاله ، بمساعدة تلك الاقتراحات التي استمدها الإنسان من الطبيعة ، ربما من خلال عملية تقليد ، لا شعورية إلى حد كبير، نشعر بالانسجام بين المسكن البشري والمظاهر الطبيعية التي يمتزج بها على نحو ملائم . لكن هذه أيضًا مستمدة من عقل الإنسان ، وليست مفروضة من الطبيعة ، وبالتالي فهي تعبيرات ثقافية.

ما وراء العلم

إن الانضباط الصرفي يمكّن من تنظيم مجالات الجغرافيا كونها علمًا إيجابيًا . إن قدرًا كبيرًا من معنى المساحة يكمن وراء التنظيم العلمي . إن أفضل الجغرافيا لم تتجاهل أبدًا الصفات الجمالية للمظاهر الطبيعية ، التي لا نعرف لها أي نهج آخر غير النهج الذاتي . إن "علم الفراسة" عند هومبولت ، و"الروح" عند بانسي ، و"إيقاع" فولز ، و"انسجام" المظاهر الطبيعية عند جرادمان ، كلها تقع خارج نطاق العلم . ويبدو أن هؤلاء الكتاب قد اكتشفوا جودة سيمفونية في التأمل في المشهد المساحية ، انطلاقًا من بداية مبتدئة كاملة في الدراسات العلمية ولكن مع ذلك بعيدًا عنها . وبالنسبة للبعض ، فإن كل ما هو صوفيّ هو رجس . ومع ذلك ، فمن المهم

أن هناك آخرين ، ومن بينهم بعض من الأفضل، الذين يعتقدون أنه بعد الملاحظة على نطاق واسع والتخطيط الدقيق ، ما تزال هناك نوعية من الفهم على مستوى أعلى قد لا يتم اختزالها في عملية رسمية .